مجلة قراءات للدراسات والبحوث النقدية والأدبية واللغوية باللغة العربية وباللغات الأجنبيّة، كلية الآداب واللغات، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر
مجلد: 1 عدد: 3 شهر جوان سنة 2010
العنوان: ضرورة التكامل المعرفي كمصطلح مُشاع بين مختلف العلوم للنمو العلمي والتطور الحضاري.
ISSN: *1112-8658*
E-ISSN: 260*2-7259*

ضرورة التكامل المعرفي كمصطلح مُشاع بين مختلف العلوم للنمو العلمي والتطور الحضاري.

د محمد العيمش

جامعة ابن خلدون - تيارت

الإيميل: drlaimechemohamed@gmail.com

ملخص

يتناول المقال موضوع "التكامل المعرفي" والقضايا المرتبطة به في سياق الجامعات العربية والتحديات التي تواجهها، ويُسلط الضوء على مفهوم التكامل المعرفي ودوره في تحقيق الرؤية الإسلامية للوجود في مختلف مجالات المعرفة. كما يتناول الفجوة بين الهوية الحضارية والتطور العلمي في الجامعات العربية، وكيف يواجه الطلاب تحديات مفاهيمية وثقافية

الكلمات المفتاحية: التكامل المعرفي، الرؤية الإسلامية، الطلاب، الحضارة، المعرفة

Abstract

The paper addresses the topic of "cognitive integration" and the associated issues within the context of Arab universities, along with the challenges they face. It sheds light on the concept of cognitive integration and its role in realizing the Islamic perspective of existence across various fields of knowledge. Additionally, the article discusses the gap between cultural identity and scientific development in Arab universities, and how students confront conceptual and cultural challenges.

Key words : Cognitive Integration, Islamic Vision, Students, Civilization, Knowledge.

تقديم

قضية التكامل المعرفي قضية متشعبة الأركان، متداخلة المفاهيم تدور حول محور رئيس، وفكرة جوهرية، وهدف واحد تتجلى فيه أركان المعرفة الإنسانية ،ويُقصد بالتكامل المعرفي في التقرير الحالي ما تناوله "عشايرة [1] أن التكامل المعرفي هو "العملية والصورة المعرفية المتحقِّقة بتفعيل الرؤية الإسلامية للوجود في كل مجالات المعرفة، وكما تتكامل علوم كل مجال في داخله، تتكامل المجالات فتُشكِّل النسق المعرفي الإنساني.

إن الجامعات العربية في عمومها تعيش أزمة وانفصالًا بين الهوية الحضارية والانتماء،ومسايرة الركْبِ العلمي والتَّقدمي الذي عليه الجامعات في الغرب، والطالب الجامعي حاله من حال جامعته، فهو يواجه نظريات مستوردة وأفكارًا تهدد هُويته الحضارية،وشخصيته الإسلامية الفطرية. [2]

والتوحيد بوصفه جوهر الحضارة الإسلامية له جانبان؛ هما: المنهج والمحتوى، يحددان أشكال تطبيق المبادئ الأولية في الحضارة وتوظيفها، وهذا النسق الموحَّد التي تنتظم به عناصر الحضارة في وحدة واحدة، مردُّه إلى العقيدة الدينية أو مبدأ التوحيد [3]، ومن ثَمَّ فالتكامل المعرفي يدور حول قضية فكرية منهجية ترتبط بالفكر والممارسة البحثية والعملية،وأساليب تناول الفكر والتطبيق العملي، كما يتناول التكامل المعرفي أفكارًا عديدة ومفاهيمَ مختلفة مترابطة في فحواها، تناولها العلماء والمفكرون والمجددون من نواحٍ مختلفة ،فهو إلغاءٌ لازدواجية التعليم، وامتزاج بين العلوم الدينية بعضها ببعض، وترابطٌ وتداخلٌ وتقريب بين العلوم، علوم الدين والعلوم الطبيعية ؛أي: بين عالمي الغيب والشهادة،وهو تكامل بين استخدام مصادر المعرفة من عقل ووحي وحواس، كما هو تطبيق عملي لمفاهيم الإسلام في الحياة العملية، وهو أيضًا توجيهٌ إسلامي للمعارف المكتسبة من الغرب، وتأصيلٌ مفاهيمي مرتبط بمصدر المعرفة الإسلامي، وتقريب بين العلوم، وأخيرًا هو المصطلح الذي أطلق عليه علماء ومفكرو الإسلام بـ"أسلمة المعرفة."

إن التكامل المعرفي الذي يقود النهضة الحضارية الإسلامية في المجتمع الجامعي لا يُقصد به الجمع بين علوم الدين في المحتوى المعرفي فقط؛ كالجمع بين التفسير والفقه والحديث، والمصطلح والأصول وعلم القراءات، ونحو ذلك، ولا يُقصد به أيضًا تأصيل العلوم الطبيعية والاجتماعية

وحدها، ولا يُقصد به المحاولات المريرة لإدخال الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة بين ثنايا العلوم دون ربط حقيقي ودون أي أثرٍ روحي، إنما المقصود بذلك التكامل هو **بناء منهج معرفي إسلامي متكامل**.

إن هذا المنهج يقوم على بنائه نُخبة من علماء أفاضل ومفكرين متخصصين في مجالاتهم،يتناولون المناهج الغربية - المعتمدة في جامعاتنا العربية - تناولًا إسلاميًّا كاملًا، يتم فيه ربط العلوم الغيبية بالعلوم الشاهدة، وربط الوسائل العملية بالغايات الإسلامية، وإرساء الأساس الإسلامي في جميع عناصر المنهج من طرق وأساليب وأوراق عمل،وتكاليف علمية وعملية، مع ضرورة التركيز على المهارات الحياتية، وبناء الفكر الإسلامي الناقد،وربط المنهج بالمهنة ليكون التوجيه الإسلامي، ليس مجرد توجيه فكري عقلي، بل هو توجيه إسلامي عملي تطبيقي؛ وذلك لأن العمل مع العلم هو الذي يقود الحضارة لنهضتها.

وفي شريعة الإسلام نجد هذا التلازم بين الأخلاق والإيمان واضحًا، وبهذا التلازم استطاعت الحضارة الإسلامية الارتقاء، وتحققت لها السيادة على البشرية لقرون طويلة متواصلة، كما انعكس هذا التلازم على الحركة العلمية الإسلامية؛ حيث أصبحت تسير في خط متوازٍ مع الأخلاق والإيمان؛ ليتشكل) **التكامل بين العلم والإيمان والأخلاق** الذي أثمر حضارة عظيمة نهض بها رواد عظام.[4]

كما أن على التعليم الجامعي أن يوضِّح للطَّلبة أن الخريجين الذين سيعملون في المهن المختلفة،في العقود التي أمامهم من مطلع القرن الحادي والعشرين،لن تكفيهم وفرة المعلومات، فقد أصبح الحصول على المعلومات ميسرًا، وسوف يصبح أكثر يسرًا مع تزايد اتجاهات عولمة التعليم العالي[5] وبالفعل نرى أننا بحاجة **لنهضة فكرية إسلامية** ترتبط ارتباطًا وثيقًا مع التوجيه الإسلامي للمناهج الجامعية، في **بناء الفكر الإسلام** - سواء كان صاحبه متخصصًا في علوم الشريعة أو علوم الطبيعة -هو الذي يخدم حامله بعد تخرجه من المؤسسة التعليمية، وهو باب النهضة العلمية؛ لأنه يساعد في تفسير الحقائق التي تواجهه بالاعتماد على مبدأ التوحيد الذي تقوم عليه فكرة التكامل في الإسلام.

إن كل ما أفرزته الحضارة الإسلامية من علومٍ ومعارفَ وتطبيقاتٍ على تلك العلوم والمعارف يدخل في باب العبادة بمفهومها الواسع، فقد كان العلماء المسلمون يدركون هذه الحقيقة حق الإدراك؛حيث يبدؤون بالاستعانة بالله في جميع بحوثهم وأعمالهم مع التوكل عليه سبحانه، وإسناد

القدرة والعون إليه وحده، مع الاعتراف بفضله في جميع ما يتوصلون إليه من نتائج، ويعدون ذلك من توفيقه سبحانه [6]، كما أننا نعتبر كل العلوم علومًا إسلامية ما دامت تزيد من فهمنا لديننا، وتعمّق إيماننا بربنا وتمكّننا من الاستفادة من نِعَمِ الله التي خلقها لنا في الكون [7] وهذا ما يميز المعرفة الإسلامية عن غيرها من المعارف باعتقادها بثنائية الوجود، وإيمانها بالغيب، وأن الكون يمثل طرف العبودية، وأن الله سبحانه وتعالى هو المعبود الخالق، وكل كائن يعود إليه.

ومن هنا يمكننا التوسع في مفهوم التكامل ليشمل مفهوم **التكامل بين العلم والعمل**، وربط مفاهيم العمل بمظلة الشريعة الإسلامية، ودور العمل واضح جليٌّ في النهوض الحضاري؛ يقول مالك بن نبي: إن الذي ينقص المسلم ليس منطق الفكرة، ولكن منطق العمل والحركة، فهو لا يفكِّر ليعمل، بل ليقول كلامًا مجردًا... فنحن ينقصنا المنطق العملي [8] ، ولن يتحقق التكامل دون العمل بالعلم، وربط العمل بالأخلاق الإسلامية والغاية الإيمانية.

بالإضافة إلى دور العمل بالعلم في أهمية التكامل المعرفي في التحصيل العلمي والتحصين الحضاري، ومن خلال قراءة الماضي نجد أيضًا أن التطور الحضاري وصل ذروته،عندما كانت **المعرفة الدينية** هي السائدة وهي الأساس لكل العلوم الأخرى، فقد أورد "ملكاوي "[9] عبارة تحدد مفهوم التكامل المعرفي الإسلامي؛ حين قال:إن كل المعارف الأخرى غير معرفة الله يجب أن تتواصل وتتكامل،وتترابط ترابطًا عضويًّا بمعرفة الله، ولمَّا كانت كلُّ العلوم تأتي في النهاية من المصدر الإلهي، فإن هذا يشكل-عند هؤلاء العلماء-الأساس المشترك لتكامل المعرفة ووحدتها في نهاية المطاف.

وكذلك من المفاهيم التي تناولها العلماء، وتداخلت مع مفهوم التكامل المعرفي، أن التكامل لا بد أن يشير إلى **الموسوعية**، وأن **التخصصية** تسير في تيار يعاكس مفهوم التكامل،وهنا نشير إلى أهمية كل من الموسوعية والتخصصية، فالموسوعية تفيد في أن يكون المسلم ملمًّا بعلوم الإسلام التي تمكّنه من تحقيق غاية الحياة، وتحقيق مبلغ العلم الذي يصبو إليه،وتحقيق الاستفادة من كل عناصر الكون المُسَخَّر له.

إن العلم إذا كان يحتاج إلى علم آخر يتداخل معه ليكمله، فعلى طالب العلم أن يتناوله تناولًا كاملًا لِيُلمَّ بأبعاده، كعلوم الدين، فلا يمكن لمتخصص التفسير-مثلًا- أن يكتفي بعلمه حتى يبلغ أعلى مستويات علم التفسير، بل لا بد له من علم الفقه وأصوله، وعلم البيان، واللغة، وعلوم القرآن والقراءات،ونحوها؛حيث يأخذ ظاهر بعضها، ويتعمَّق في بعضها الآخر، بناء على ما يحتاجه

لتطوير مجال تخصصه، ثم يتخصَّص في مجاله (التفسير) حتى يكون عالِمًا به، وهكذا مع بقية العلوم، وذلك يتطلب تصميم مناهج جامعية متكاملة مترابطة، مع أهمية توضيح الترابط والعلاقة بين العلم والآخر، ودور كل علم ومكانته، وليس مجرد ترابط تجريدي خالٍ من أي روح، ويسري ذلك على جميع العلوم الطبيعية منها والاجتماعية.

فمنهج البحث في علم التربية -مثلًا- يتطلب العلم بالعلوم الاجتماعية، والعلوم الشرعية،وأحكام الحلال والحرام، وفقه التربية، وفهم قواعد الشريعة، ودراسة الواقع والأحداث المعاصرة،مع بناء الفكر الإسلامي الناقد حتى يستطيع أن يبني فكرته الإسلامية التربوية، ويزن الأفكار التربوية الغربية التي بين يديه، وما قامت الحضارة الإسلامية وازدهرت إلا نتيجة للتكامل بين المعارف، وقد استشعر كثير من علمائنا السابقين هذا الأمرَ، فتجد الواحد من هؤلاء قد اجتمعت فيه معارف الفلسفة والكيمياء، والطب والفقه واللغة، بل لا يُعدُّ من هؤلاء عالمًا بحق إلا إذا وصل الغاية في علمه.[10]

ومن ثَمَّ نجد أن هناك تكاملٌ معرفيٌّ داخل التخصص، وتكامل معرفي في تخصصات كثيرة[11]،أما أنْ يتخصص الإنسان في علم، ويتعمق فيه دون باقي العلوم التي تكمله، فهذا يُضْعف من المحتوى المعرفي، ويضعف من الاستفادة من المنهج العلمي، ولا يكون له أثرٌ يُذكر في بناء حضارة معرفية تليق بعظمة الإسلام.

ومن النماذج التي يمكن أن تحقق التكاملية المعرفية في الدراسات الجامعية العليا دراسات معمَّقة متخصِّصة تتناول الدراسات المقارنة والتكاملية المعرفية، ويمكن أن تؤدي إلى التقارب والتكامل على مستوى البحوث؛مثل:مقارنة مسائل الشريعة بالقانون،ضرورة الدراسات التأصيلية، وهي مهمة في دراسة أسلمة المعارف والعلوم والتقريب بين العلوم العصرية والتجريبية والعلوم الشرعية، وأخيرًا ضرورة الدراسات المصطلحية، فهي مهمة في تحديد الأنساق المعرفية الإسلامية؛ لأن من خلاله تتبين المقاصد الحضارية والفكرية،وتضبط المفاهيم والحقائق.[12]

ومن أبرز متطلبات تحقيق أهداف مشروع التكامل المعرفي في التعليم الجامعي: إبراز التصور الإسلامي للكون والنفس والحياة في ضوء نظرية المعرفة في الإسلام، والانفتاح على العالم والمعارف والتوسع فيها متسلحًا بالتصور الإسلامي الصحيح، وفهم حقيقة المعرفة وثباتها، والاعتراف بالعلاقة التكاملية بين الدين والعلم، والنظر إلى المتعلم على أنه العنصر المهم والفعَّال في العملية التعليمية،

ودور المدرس يقتصر على التوجيه، ومن ثَمَّ لا بد أن تهدف الجامعة إلى تكوين الفرد المتشبع بقيم الاستقلالية والمبادرة والتفاعل مع متغيرات العصر، وبلوغ أعلى مستويات المعرفة من مناقشة وتحليل وتقويم وتفكير إبداعي.[13]

ومن المتطلبات الخاصة بمظاهر التكامل المعرفي كذلك مشاركةُ علماء التربية وعلماء الشريعة مع أساتذة وضع المناهج في وضع مظاهر التكامل المعرفي، ووضع خطة مرحلية لتحقيق التكامل المعرفي،وضرورة صياغة معايير واضحة ومقننة وقابلة للتطبيق والتقويم لمظاهر التكامل المعرفي بالمناهج الجامعية.[14]

ومن النماذج البحثية للتكامل المعرفي في المجتمع الجامعي دراسة "بخضرة "[15] بعنوان: (أفق التكامل المعرفي داخل نظام) (L.M.D) ليسانس+ ماستر+ دكتوراه) ميدان العلوم الاجتماعية أنموذجًا؛ حيث يرى الباحث أن هذا النظام هو الخيار الأمثل،لتفادي النقائص الكثيرة التي كانت تشوب الأنظمة القديمة، والتي كانت وراء عدم تحقق التكامل المعرفي اللازم بين الوحدات العلمية، فقد تمكن هذا النظام من غلق كل الفجوات التي كانت بادية في النظام التقليدي الكلاسيكي، بالإضافة إلى تحقق فرص التكامل بين مقاييس الوحدات، التي تظهر بشكل فعلي في الجذور المشتركة؛ إذ ساعدت الطالب على الإلمام بجميع الوحدات بفرص متساوية، واستحداث تخصصات تتناسب وتطلعات السوق والمجتمع، وما تفرضه الظروف العابرة، ومعرفة آفاق نظام "ل. م. د" في الرقي بالفكر الإسلامي المعاصر، والوصول به إلى مستوى عالمي، من خلال إنزال آلياته الجديدة على مختلف مجالات الفكر الإسلامي الحيوية، بما فيها فتح المساحات المنهجية بين هذا النظام، ونظريات المعرفة الإسلامية، حتى تكون في مستوى طموحات الباحث المسلم.

هوامش البحث:

[1] ينظر:عواشرية، السعيد، (2010)، متطلبات تجسيد مشروع التكامل المعرفي في التعليم الجامعي وتحقيق أهدافه ومعيقات ذلك، المؤتمر العلمي الدولي التكامل المعرفي ودوره في تمكين التعليم الجامعي من الإسهام في جهود النهوض الحضاري في العالم الإسلامي، ص 772.

[2] ينظر:حسين، عقيلة، (2010)، ضرورة التكامل المعرفي في التحصيل العلمي والتحصين الحضاري: مقاربة تأصيلية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها، المؤتمر العلمي الدولي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص 233-258، ص 248.

[3] ينظر:بو الشعير، عبد العزيز، (2010)، الإطار النظري للتكامل المعرفي في العلوم عند إسماعيل الفاروقي، المؤتمر العلمي الدولي التكامل المعرفي ودوره في تمكين التعليم الجامعي من الإسهام في جهود النهوض الحضاري في العالم الإسلامي، ص 280.

[4] ينظر:الخويطر، خالد، (2004)، جهود العلماء المسلمين في تقدم الحضارة الإنسانية، ص 14.

[5] ينظر:ملكاوي، فتحي حسن، (2010)، مفاهيم التكامل المعرفي، المؤتمر العلمي الدولي التكامل المعرفي ودوره في تمكين التعليم الجامعي من الإسهام في جهود النهوض الحضاري في العالم الإسلامي، ص 49.

[6] ينظر:الخويطر، مرجع سابق، ص 17.

[7] مرسي، محمد (2005)، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، عالم الكتب، ص 140.

[8] مالك بن نبي، (1986) شروط النهضة، ترجمة: عبدالصبور شاهين، دمشق: دار الفكر، ص 96.

[9] ينظر:ملكاوي، فتحي حسن، (2010)، مفاهيم التكامل المعرفي، مرجع سابق، ص 30.

[10] ينظر:صالح، عمار، (2016)، أثر التكامل المعرفي في بناء العملية التربوية (التعليمية)، مجلة كلية العلوم الإسلامية، ع46، ص 246.

[11] ينظر:حسين، عقيلة، (2010)، ضرورة التكامل المعرفي في التحصيل العلمي والتحصين الحضاري: مقاربة تأصيلية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها، مرجع سابق، ص 247.

[12] ينظر:المرجع نفسه، ص257.

[13] ينظر:عواشرية، السعيد، (2010)، متطلبات تجسيد مشروع التكامل المعرفي في التعليم الجامعي وتحقيق أهدافه ومعيقات ذلك، مرجع سابق،ص772.

[14] ينظر:حسن، محمد علي، (د.ت)، متطلبات تحقيق التكامل المعرفي في العلوم التربوية (قسم التربية الإسلامية بكلية التربية جامعة الأزهر أنموذجًا)، ص 117.

[15] ينظر:بخضرة، مونيس، (2010)، أفق التكامل المعرفي داخل نظام (ل. م. د) ميدان العلوم الاجتماعية أنموذجًا، المؤتمر العلمي الدولي - التكامل المعرفي ودوره في تمكين التعليم الجامعي من الإسهام في جهود النهوض الحضاري في العالم الإسلامي، ص461 وبعدها.

المصادر والمراجع:

1. أبو الشعير، عبد العزيز، (2010)، الإطار النظري للتكامل المعرفي في العلوم عند إسماعيل الفاروقي، المؤتمر العلمي الدولي التكامل المعرفي ودوره في تمكين التعليم الجامعي من الإسهام في جهود النهوض الحضاري في العالم الإسلامي.

2. بخضرة، مونيس، (2010)، أفق التكامل المعرفي داخل نظام (ل. م. د) ميدان العلوم الاجتماعية أنموذجًا، المؤتمر العلمي الدولي - التكامل المعرفي ودوره في تمكين التعليم الجامعي من الإسهام في جهود النهوض الحضاري في العالم الإسلامي.

1. حسن، محمد علي، (دت)، متطلبات تحقيق التكامل المعرفي في العلوم التربوية قسم التربية الإسلامية بكلية التربية جامعة الأزهر أنموذجًا.

3. حسين، عقيلة، (2010)، ضرورة التكامل المعرفي في التحصيل العلمي والتحصين الحضاري مقاربة تأصيلية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها، المؤتمر العلمي الدولي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

4. الخويطر، خالد، (2004)، جهود العلماء المسلمين في تقدم الحضارة الإنسانية.

2. صالح، عمار، (2016)، أثر التكامل المعرفي في بناء العملية التربوية (التعليمية)، مجلة كلية العلوم الإسلامية، ع46.

5. عواشرية، السعيد، (2010)، متطلبات تجسيد مشروع التكامل المعرفي في التعليم الجامعي وتحقيق أهدافه ومعيقات ذلك، المؤتمر العلمي الدولي التكامل المعرفي ودوره في تمكين التعليم الجامعي من الإسهام في جهود النهوض الحضاري في العالم الإسلامي.

1. مالك بن نبي(1986) شروط النهضة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دمشق، دار الفكر.

المجلات:

2. مرسي، محمد (2005) التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، عالم الكتب.

ملكاوي، فتحي حسن، (2010)، مفاهيم التكامل المعرفي، المؤتمر العلمي الدولي التكامل المعرفي ودوره في تمكين التعليم الجامعي من الإسهام في جهود النهوض الحضاري في العالم الإسلامي